وأعطاني قشرة وقال لي : كلها وأبشرك ببشارة، فأخذت شيئاً منها وأكلته، ثم قال لي : هات يدك أصافحك ! فصافحته، فقال لي : صافحت سيدي أبا عبد الله وصافح سيدي أبو عبد الله الخضر وصافح الخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدان : يد الشيخ ويد الخضر، ويكون أنت بينك وبينه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيد. ففرحت والله بذلك فرحاً شديداً (*الإثمد*، ص. 215).

ومن بين ما يمكن أن نستفيده من هذا الخبر، أن الالتقاء المباشر بين ابن تيگيلات المؤلف والشيخ أبي عبد الله الهزميري لم يقع وإنما أخذ عنه بواسطة. وما يزيد في تأكيد ذلك ما ذكرته من كون المؤلف بقي حياً بعد منتصف القرن الثامن الهجري. بل إن الخبر يثبت ضمنيا عدم المعاصرة.

يمكن أن نستنتج على ضوء الملاحظات السابقة أن اسم أبي عبد الله بن تيگيلات علم لشخصين من طريقة صوفية واحدة. وربما قبيلة واحدة. المؤلف أصغر سنا من صاحب الرسالة. وللتمييز نقترح نعت صاحب "*الإثمد*" بأبي عبد الله بن تيگيلات المؤلف.

ويبدو أن ابن تيگيلات المتصوف هذا كان من أهل الجانب الشرقي من مراكش. ولعله كان إماماً راتباً بأحد المساجد القديمة آنذاك من باب الدباغين. ومن غير المستبعد أن يكون مكلفاً من طرف أبي عبد الله الهزميري بتنظيم أتباع الطائفة الأغماتية في مراكش.

م. ابن تيگيلات، *إثمد العينين* ؛ أ. بَابَا السوداني، *نيل الابتهاج*.

محمد رابطة الدين

تيلزَّارْتْ، يحمل هذا الاسم قريتان : الأولى بقبيلة قلعية معروفة بمرابطي تيلزارت، والثانية ببني وريمش من بني إزناسن. واللفظ من أصل أمازيغي مرتبط بالكدية بالنسبة للقرية الأولى وبالجبل بالنسبة للثانية. لسنا متأكدين من معناه الأصلي.

فتيلزارت المرابطين (إِمْرَبْضَنْ) قرية معروفة بقبيلة قلعية، يختص بسكناها شرفاء من أصل إدريسي منذ أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، تابعة من الوجهة الإدارية إلى خمس الگعدة، حسب التقسيم القديم، وإلى بني سيدال حسب التنظيم الحالي، مندرجة في جماعة إِلَحْيانَن (اللحانية) المنتمية إلى فرقة إعَدُّوين (عدوية) الوطا. تبعد القرية عن مدينة أزْغَنْغَان بنحو سبعة كيلومترات، وتنتشر دورها يمين الطريق المؤدي إلى واد كرط، السائر في اتجاه دار الكبداني ببني سعيد.

تشغل أرض تيلزَّارْتْ كدية مساحتها شبه مستطيلة الشكل، قسمها الغربي واقع عند منبع واد تيلزَّارْتْ الجنوبي، رافد إغْزَرْ أُماسِنْ، وقسمها الشرقي ممتد جنوب كدية ابن الوزير (نسبة إلى الوزير الوطاسي الداخل مع عبد الحق المريني إلى ربوع الريف الشرقي عام 610 هـ)، بجانب منبع شرقي يصب بواد تيلزَّارْتْ. ويقابل القرية هناك من المداشر : سيدي بوصْبار، وإبُگْرونْ، وأيت غانم. ويقرب منها كل من مدشر إدْراياً وإشْوطاراً وأيت غانم من جهة الشرق، ومدشر إلحيانا الوطا من جهة الغرب. ومن القطاعات المعروفة بتيلزَّارْتْ : الحمّام، وهو القطاع الواقع حول المنبع الجنوبي، ثم الدَّمْنَتْ (الدّمنة) وإنْدْرَارَن (النوادر) وتخَرْبين (الخرائب) وتسَهْبِيتْ (السهب الصغير)، وكلها غراسات لشرفاء تيلزَّارْتْ.

تلك هي المساحة التي استوطنها مرابطو تيلزَّارْتْ أول مرة في تاريخ معلوم لدينا، وعقبوا فيها في ظروف بعضها معروف بفضل الرسوم والوثائق التي وجدناها محفوظة لدى صاحبها الأستاذ المرابط الطاهر بن عمر التِّيلزَّارتي، قاض بمحكمة الاستئناف بوجدة. ونعرف بداية استيطان التيلزَّارتيّين من رسم تقسيم تركة جد الأسرة الحاج عزوز. يعود تاريخ الرسم إلى أوائل محرم عام 1074 / غشت 1663. ثم جددت كتابته مرتين، في أول رمضان 1089 / 17 أكتوبر 1678، وفي أواسط ذي القعدة عام 1292 / دجنبر 1875.

وجد الأسرة هو عزوز (عبد العزيز) بن علي بن يعلا الدَّراجني القلعي، أحد رجال التصوف والبركة المعروفين بقلعية خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). والظاهر أنه أول من التجأ إلى القبيلة من الأسرة، لدواع وظروف نجهلها، وذلك خلال سنوات النصف الأول من القرن السالف الذكر. اختار الاستقرار بجماعة ثْلاثْ الگعدة (بني سيدال الحالية) في ظل حماية مدشر إدْرَاجَنْ (إدْرايَن أيضاً)، بجوار من هناك من التجمعات الإدريسية السابقة مثل أولاد داود ببني وغْمرَنْ تازوطا، وإلَحْيانَنْ الجبل، وأولاد عمر بن عيسى القيطونيين بالگعدة. ففي سنة 1069 / 1657 كان الحاج عزوز لايزال على قيد الحياة، وربما كان تقدم سنه هو الذي حتم عليه الإسراع إلى توزيع ملكه الكائن بعزيب تيلزَّارْتْ على أبنائه الأربعة. غير أنه كان في عام 1074 / 1663 قد توفي، تاركاً وراءه مقاماً مشهوراً. وإليه تنسب الرواية الشفوية مواقف جهادية تتلخص في تقديم حصة مجاهدي خمس الگعدة، تحت إمرة قائد تازوطا آنذاك من أفراد أسرة أولاد عمر بن عيسى القيطونيين (الفگيگي، *قلعية*، 1 : 134 ـ 142). وتوجد قبة جد التيلزَّارْتيين على الضفة اليسرى من واد تازوطا، عند مخرجه من الخانق إلى مدشر إدراجَن، من أربعاء ثْلاثْ بني سيدال.

انتقل أبناء الحاج عزوز من مقر أبيهم إلى موطنهم الجديد تيلزَّارْتْ، على بعد ما يقرب من خمسة كيلومترات من ثْلاثْ، مما يلي الجنوب الغربي، وهم أربعة ذكور، رتبهم التقسيم الذي تم حسب رغبته ومشورة أخيه أحمد بن علي، المعروف بابن "تايَزْيات" إلى فريقين :

ـ عبد الله وأحمد، وهما شقيقان من أم واحدة، كان من نصيبهما القسم الشرقي من ملك تيلزَّارْتْ.

ـ عبد الدايم وأخوه المسمى "الحاج"، وهما من أم واحدة أيضاً، أسند إليهما أمر التصرف في القسم الغربي من نفس

الملك.

وليس ببعيد أن تكون القطعة الأرضية التي ملكها الحاج عزوز بعزيب تيلزَّارْتْ، ناتجة عن هبة تسلمها من مدشر إدراجن أو من جماعة عدّوية التي كانت لها عزائبها بتلك الجهة، أثناء نزوح أهلها عن الجبل لسكنى "الوطا"، فهذا مما جرت به العادة تكريماً للصلحاء، وفي حالة الحاجة إلى ممثل للبركة، التي كانت تعنى من جملة ما تعنيه توفير أكبر قدر من المتطلبات الدينية للأفراد، وتيسير خدماتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فهذا كان دائما من مشاغل بال الجماعات بالقرى المغربية.

ومن أعضاء الفريقين السالفين انحدر مرابطو تيلزَّارْتْ قلعية. وبتتبع وثائقهم الصادرة بين 1069 و1314 / 1657 - 1896 نستطيع تصور تعمير القرية الجديدة، من جهة، واستحضار التسلسل النسبي وبيان دور التيلزارتيين بقبيلة قلعية خلال تلك الفترة من جهة أخرى. ففي الوقت الذي تقف فيه معلوماتنا عند مجرد أبي الأسرة أحمد بن عزوز، تقل معرفتنا بعقب أخيه عبد الله، إذ لا تصل بنا الرسوم إلى أبعد من سنة 1213 / 1798. وتزداد الأخبار بالنسبة لخلف عبد الدايم بن عزوز، بامتداد فترتها إلى غاية سنة 1300 / 1882. على أن أوفر المعطيات هي التي قدمتها لنا الوثائق الخاصة برابع أبناء عزوز الدراجني المسمى الحاج، فيمكن تتبع أخبار عقبه إلى غاية 1314 / 1896.

حرص مرابطو تيلزَّارْتْ على مواصلة خطة جدهم القائمة على الاشتغال بالقراءة وتحصيل العلوم الدينية والتدريس، والظهور بمظهر الصلاح. فمنذ بداية استقرارهم بالقرية بنوا مسجداً، لايزال رسمه قائما، وقد تغيرت بعض معالمه الأصلية بعد التجديدات التي أدخلت عليه، تميزه الصومعة العالية، كان بمثابة بداية مدرسة لتخريج التيلزارتيين خاصة. فهذا هو ما تعبر عنه الوثائق التي بأيدينا. فهي تبين حضورهم ومشاركتهم في مجال الفقه والخدمة بالقضاء والعدالة.

ويمكن الإشارة إلى عدد من العدول أمثال : أحمد بن المختار بن علي التيلزارتي الذي كان حيا سنة 1127 / 1715، ومحمد بن الجلاني التيلزارتي، من أحياء ما بين سنة 1234 و1299 / 1867 - 1889. ظهر اسمه على رسوم تيلزَّارْت ورسوم أولاد داود التازوطيين وأولاد عسو البوگافريين. ونعرف من فقهاء تيلزَّارت :

التيلزَّارْتِي، محمد بن الحاج أحمد بن المختار بن عمر بن محمد، الذي ضرب الرقم القياسي في العدالة ثم القضاء، ليس فقط من عدد الرسوم التي تحمّل مسؤولية توقيعها، وعددها أربعة عشر رسماً، بل من المدة التي قضاها في المهمتين، وهي تصل إلى نحو عشرين سنة. فتواريخ الرسوم ممتدة بين سنوات 1282 و1302 / 1865 و1884. سجل أثناءها وقع عقود البيوع والمنازعات الخاصة بأهل تيلزَّارْت وأولاد داود وأولاد عسو التابعين لخمس الگعدة.

وهناك ما يشهد للفقيه محمد بن الحاج أحمد بزعامة الدفاع عن مصالح التيلزَّارْتيين. ففي سنة 1283 / 1871 كان نقيب المرابطين، شكل وفداً مؤلفاً خاصة من شقيقه محمد الصغير، وابن عمه الطالب أحمد بن علي بن المختار التيلزَّارْتي، توجه به إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن، وبيده شكوى ضد قائد قلعية آنذاك المعروف المختار بـ"ألْغَمْ" بعد أن خرق عليه عادة احترام الشرفاء وطالبه بأداء الواجبات المخزنية المعتادة. وقد عاد التيلزَّارتي بتوصية موجهة إلى حاكم الريف عبد الصادق الريفي، مؤرخة في 12 جمادى الثانية عام 1288، مفادها إقرار التيلزَّارْتيين على احترامهم واتباع عادتهم المعهودة.

التيلزَّارْتِي، محمد بن الحاج الكبير بن محمد بن الحاج بن عزوز، كان له نفوذ روحي بالقبيلة، إذ كان مرجعها وسندها لحل مشاكلها. ثبتت حياته سنة 1127 / 1715، على عهد قائد مولاي إسماعيل بقلعية المدعو الطاهر بن عمر القيطوني، حاكم تيمزار. ونشير كذلك إلى الفقيه التيلزارتي الشيخ علي، نقيب مرابطي تيلزارت على عهده، كان حياً في بداية القرن الثالث عشر (12 م).

ولما كان تحرير الشرفاء من التكاليف المخزنية، من المشاكل المثيرة لحكام القبائل، بما كان يترتب عن التحرير من اختلال التزامات القواد المالية تجاه المخزن، فإن مطالبة الشرفاء بأداء قسطهم من تلك الواجبات، وإنكار نسبة شرفهم تكررت من حين لآخر. فحينما تكرر خرق العادة على شرفاء تيلزارت من طرف قائد الگعدة حمُّ بن الهادي القلعي، قصد أعيان تيلزارت أمين قلعية آنذاك ميمون بن المختار الفرخاني المزوجي. وكان على الأمين إخبار السلطان بشكايتهم بتاريخ 16 محرم عام 1307 / 1889، وبما أبداه الوفد من زيارة السلطان. ولم يلبث التيلزَّارْتيون أن توصلوا بإذن تلك الزيارة بتاريخ 8 صفر 1307، فعادوا بعدها برسالة ملكية إلى قائد الگعدة بوجوب احترام شرفاء تيلزارت وإعفائهم من الكلف المخزنية.

وإلى غاية نهاية القرن الثاني عشر (19 م) لم تشعرنا الوثائق التيلزارتية بانفصال عدد من أهل القرية عن موطنهم الأصلي. ولكننا تأكدنا بعد ذلك من هجرة بعض الأسر نحو الجنوب الشرقي، حسبما دلت عليه الرواية الشفوية وتفقد مواقع الاستيطان الجديدة. ويمكن تفسير أسباب تلك الهجرة بضيق المجال الحيوي الذي يقابله التكاثر السكاني. ونضيف إلى ذلك الصعوبة التي وجدها التيلزارتيون في التفاهم مع قواد جماعتهم ومراعاة حقوق نسبهم، مما جعل بعضهم ينتقل من قيادة الگعدة إلى قيادة بني بويفرور.

وكنتيجة لذلك الانفصال نشير إلى ظهور تجمعين جديدين، يحملان اسم مرابطي تيلزارت، وبأيديهما بعض الوثائق التي تثبت ذلك الانتماء :

- فضل الأول منهما الاستقرار بمحاذاة قمة بجبل